نقاط على حروف المشهد الجهادي العالمي

د. أكرم حجازي

2008/10/11

المشهد العراقي (1)

عشية حلول شهر رمضان وحتى الأيام الأولى من عيد الفطر تلقت وسائل الإعلام والمراقبين دفقا إعلاميا نوعيا شمل عدة ساحات جهادية في العالم قادته على وجه الخصوص مؤسستي السحاب والفرقان اللتان قدمتا سلسلة من الأشرطة الوثائقية والخطابية لأبرز قادة القاعدة في العراق وأفغانستان. فقد أصدرت السحاب أربعة أشرطة هي:

- "**غزوة المؤذن**" في 2008/9/4.
- شريط السحاب في الذكرى السابعة لهجمات سبتمبر، بعنوان: "**حصاد سبع سنوات من الحروب الصليبية**" في 2008/9/8.
- "**إمامٌ بحق**" في 2008/9/28
- كلمة لآدم يحيى غدن (عزام الأمريكي) بعنوان: "**لا يَلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**"، في 2008/10/4.

أما الفرقان التابعة لدولة العراق الإسلامية فقد أصدرت:

- كلمة صوتية لأبي عمر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية بعنوان: "**وَقَاتِلوا المُشرِكِينَ كَآفَّةً**" في 2008/9/9.
- محاضرة صوتية لأبي حمزة المهاجر وزير دولة العراق الإسلامية بعنوان: "**الدولة النبوية**" في 2008/9/19.
- كلمة صوتية أخرى للبغدادي بعنوان: "**وعدُ الله**" في 2008/9/24.
- "**عامان لدولة الإسلام**" في 2008/9/21.
- "**كتائب كردستان في دولة العراق الإسلامية**" في2008/10/4.

ومن جهتها أصدرت جماعة أنصار الإسلام في العراق شريطا جديدا بعنوان: " **مطر الأرض**" في 2008/9/24. و "**رهبان الليل**" لجيش الراشدين في 2008/10/2. وفي الجزائر أصدرت قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي ثلاثة أشرطة الأول لصلاح أبي محمد المسؤول الإعلامي بعنوان: "**من هم قَتَلَةُ الأبْرِيَاء؟**" في 2008/9/2، والثاني لأمير التنظيم أبي مصعب عبد الودود بعنوان: "**رسالة إلى أهلنا في المغرب الإسلامي**" في 2008/9/22، والثالث لأبي عبيدة يوسف العنابي الذي قدمه الشريط بوصفه رئيس مجلس أعيان التنظيم في المغرب الإسلامي، وهو بعنوان: "**تهنئة العيد لأهل التوحيد**" في 2008/10/3. أما

في الصومال فقد أصدرت حركة الشباب المجاهدين شريطا بعنوان: "**استعدادات غزوة لا سلام بلا إسلام**" في 2008/9/30.

إذن لدينا، على الأقل، خمسة عشر شريطا مرئيا أو مسموعا صدرت عن أوساط الإعلام الجهادي في مناطق مختلفة، ولئن بدا للوهلة الأولى أنها تزامنت مع شهر رمضان إلا أن محتوياتها ومناسباتها تجاوزت المناسبة الدينية بشكل واضح وجلي. وحتى لا يقع البعض في اللبس لا بد من الإشارة على أن جميع الأشرطة أعدت قطعا لبثها في شهر رمضان، ولهذا فقد خلت جميعها من التعليق على أي من الأحداث الجسيمة التي وقعت على امتداد الشهر سواء على المستوى الإسلامي فيما يتعلق بأحداث حي الصبرة في غزة أو فيما يتعلق بتفجير فندق ماريوت في الباكستان أو بالهجمة الشيعية الشرسة التي يتعرض لها الشيخ يوسف القرضاوي ناهيك عن التعليق المباشر على الأزمة التي تعصف بإجمالي النظام الرأسمالي في العالم. لكن أبرز ما في الأشرطة أنها جاءت، هذه المرة، محملة بحزمة من المفاجئات والرسائل بصورة مكثفة ومنسقة على غير العادة، فضلا عن أنها احتوت على مواد إعلامية مميزة لم يسبق أن وقع الاهتمام بها أو تم الكشف عنها، وهو ما سنلاحظه في سياق التحليل القادم.

أولا: زوال القاعدة؟

تبدو الصورة العامة للمشروع الجهادي في العراق غامضة وضبابية، وإذا ما قورن حال الساحة قبل عامين بحالها الآن فلا شك أن السكون يخيم على المنطقة بصورة ملحوظة خاصة لجهة العمليات المسلحة الموجهة ضد القوات الأمريكية. مثل هذا الأمر يدفع إلى الاعتقاد بأن المشروع الجهادي ضعف إلى حد الاقتراب من التلاشي، لكن هذه الاعتقادات التي يعبر عنها البعض تبدو أقرب إلى التمني من كونها الحقيقة القائمة حتى اللحظة. فالقوى صاحبة المشاريع الكبرى كما هو حال تيارات السلفية الجهادية هي بلا شك قوى حية لا يأفل نجمها بسهولة كما هو الحال بالنسبة للقوى ذات الطابع الوطني التي يمكن أن تنزوي أو تتساكن مع النظم السياسية القائمة. فما الذي حدث في العراق كي يعتقد البعض أن القاعدة قاربت على الزوال؟

ما حدث في العراق أن ظاهرة الصحوة تحولت إلى ظاهرة اجتماعية لا ينفع معها الدخول في حرب نظامية ولا حرب عصابات. ولقد قيل الكثير عن أسباب نشوء الظاهرة، لكن أهم ما فيها أنها سنية، وهذا يعني أن الحاضنة الجهادية انقلبت على أعقابها وهيمنت على جغرافية العمل الجهادي، وتبعا لذلك فمن الطبيعي أن تستهدف الصحوة جميع القوى الجهادية دون استثناء. هذه القوى كان أمامها خيارين لا ثالث لهما:
الأول، أن تخوض حربا ضد الحاضنة أيا كانت النتائج، وهو ما لم تفعله لأن جزء كبيرا منها كان من المؤسسين للمشروع أصلا.

والثاني، أن تتوجه فعالياتها نحو رؤوس المشروع ورموزه وهو ما حصل فعلا لكنه توجه فشل في هدم المشروع الذي ظلت الولايات المتحدة تموله حتى آخر قطرة حياة فيه. وخلال ذلك كانت القوات الحكومية

وقوات الاحتلال تستفيد من تعزيز وجودها على الساحة إلى أن أمكن الاستغناء عن خدمات المنتسبين للمشروع والداعمين لهم.

لكن بين الخيارين ظهر خيار ثالث هو الذي أحدث الغموض والضبابية. إذ أن الجماعات الجهادية اضطرت إلى الانزواء عن الأنظار خشية أن تخوض حربا عبثية يمكن أن تخسر فيها رصيدها البشري لو ظلت تعمل فوق الأرض كما كانت قبل مشروع الصحوات، وعليه فلم نعد نسمع عن معسكرات ولا مناطق تمركز ظاهرة للعيان ولا حركة في الشوارع إلا في حالات معينة كان الهدف منها بث رسائل سياسية وأمنية.

وفي وقت سابق رصدنا مقالتين إحداهما تتحدث عما يسميه كاتب بـ: "**استراتيجيا الحرباء بين أفغانستان والعراق**" والثانية تتحدث عما يسميه كاتب آخر بـ: "**استراتيجيا التظاهر بالموت**". ولعل هذا ما يحصل بالضبط على الساحة العراقية. فالسلفية الجهادية في العراق وأغلب الجماعات الأخرى تعمل منذ سنتين تقريبا بموجب التخفي والتكيف بحسب الوضع الأمني بصورة تبدو معها كما لو أنها ميتة، وهو ما أدركته القوات الأمريكية واقعا لا تأويلا. ومن يتابع سلسلة الحملات العسكرية التي شنتها الحكومة على ديالى والموصل لا شك أنه أيقن استراتيجيات العمل الجديدة. فحتى أصحاب الشأن اعترفوا بفشل هذه الحملات فشلا ذريعا ابتداء من المالكي وانتهاء بالأمريكيين. بل أن تصريحات طريفة لضابط أمريكيين إبان الحملة على ديالى أقرت بفشل بلغت نسبته 100%. ففي المدينتين دخل عشرات آلاف القوات المهاجمة لكنها لم تجد شيء تهاجمه رغم علمها يقينا بأن المدينتين تعجان بالمجاهدين! لنتابع فقرة ذات دلالة بالغة وردت في صحيفة الوول ستريت جورنال (**wall street journal**) تعليقا على حملة ديالى الأخيرة (أواخر شهر تموز / يوليو 2008) حيث تقول:

(إن القوات الأمريكية العاملة في محافظة ديالى فشلت في العثور على من تطارده من مسلحين أو أسلحة. وقالت أيضا أن هذه الوحدة العسكرية الأمريكية وصلت إلى المنطقة قبل خمسة أيام من الموعد الذي أعلنته الحكومة وبدأت فيه عملياتها العسكرية في ديالى، وكان يوم الثلاثاء 29 يوليو 2008. و قال ضابط أمريكي إننا نطارد أشباحا وقد فتشنا منذ خمسة أيام جميع المنازل ولم نعثر على أي إشارة لوجود مسلحين أو أسلحة. ولكن المسلحين مع ذلك لم يهدؤوا، وتركوا آثارهم وراءهم بعشرات القنابل التي نصبت بعد انطلاق العمليات العسكرية. ويقول هذا الضباط للصحيفة، أن المشكلة هي كيفية خروج المسلحين ودخولهم دون أن نراهم ، ولا ندري أين يختفون).

لا ريب أن هذه التصريحات بالغة الإثارة والأهمية في وقت واحد. فالذين اعتقدوا وروجوا منذ عامين أن القاعدة أو دولة العراق الإسلامية لم يبق عليها سوى بضعة شهور حتى تتلاشى عليهم أن يجيبوا ويحددوا عناصر التلاشي، وعليهم أن يفسروا أسباب فشل الحملات العسكرية المتواصلة على المقاتلين، وعليهم أن يحددوا للعسكريين الأمريكيين أين كان المقاتلون يتمركزون حين تعرضوا لهجمات استراتيجية كاسحة في ديالى والموصل. وأين ذهبوا؟ وأين مخازن تسليحهم؟ وأين مقرات صناعاتهم العسكرية؟ وأين هي الأدلة على تفكك التنظيم أو مقتل قادته أو اعتقالهم؟ وهل ثمة أدلة على تراجعهم أيديولوجيا أو اندماجهم أو انسحابهم من

التنظيم؟ ولماذا لم يعثروا على أحد منهم رغم الجيوش الجرارة من الجواسيس والعملاء؟ وبما أنهم استطاعوا أن يتنبأوا بقرب زوال القاعدة فهل بمقدورهم الكشف عن استراتيجياتهم في القتال والتنقل؟ وهل بمقدورهم التنبؤ بوسائل التخفي والتنظيم التي يستعملها المقاتلون بينما أعتى الاستراتيجيين والمحللين لم يعودوا قادرين على تفكيك طلاسمها؟ أليست مثل هذه الأسئلة هي التي حيرت الأمريكيين وحتى الناتو في أفغانستان دون أن تجد لها جوابا؟

الأكيد أن نوعية التصريحات الأمريكية تجاوزت العسكريين بأشواط طويلة وهي تتحدث، في أحسن الأحوال، عن مخاوف حقيقية إزاء الوضع في العراق. وكلها تجمع بلا مواربة على توصيف الوضع بالهش والخطر. فما من مسؤول أمريكي تجرأ، ولو من بعيد، على القول بأن القاعدة على وشك الهزيمة والتلاشي في العراق بقدر ما تحدثوا عن ضعف أو انخفاض لوتيرة العنف أو قدرة على التكيف وتخفي مزعج وإعادة بناء وقوة فتاكة بل وحتى هزيمة قاب قوسين أو أدنى وتضرر لهيبة الجيش الأمريكي ونذير بانهيار أمريكي اقتصادي وعسكري. لا شك أنه ثمة فرح وسرور لدى الأمريكيين وحلفائهم إزاء انخفاض مستوى المواجهات، وهذه حقيقة. لكن غياب المعلومات عن النتائج حول هذا الارتياح إلى شك وقلق بالغ. فكيف يصح التمسك بأطروحة متهافتة أصلا؟ ولماذا؟ أليس من الأجدى التأمل قليلا في حقيقة الوضع في العراق بدلا من التنطع؟

ثانيا: الإخوان المسلمون وفخ القاعدة

كل من شاهد شريط الفرقان من أنصار الجهاد "**عامان لدولة العراق الإسلامية**" بدا كمن يستعيد ثقته في حال الدولة خاصة وهو يتحدث عن إنجازاتها خلال عامين من إعلانها. والحقيقة أن الشريط قدم مفاجئات عديدة وعروض يكشف عنها لأول مرة مثل مبايعات عشائر ديالى للبغدادي ودولة العراق، وجزئيا عن قاتل عبد الستار أبو ريشة الذي دارت حوله الكثير من التكهنات في حينه، وشملت العروض تجارب لصناعة الصواريخ وحديث عن صناعة أسلحة دفاع جوي، وترميم للجسور وتقديم لمساعدات الإغاثة للسكان فضلا عن الاختراقات الأمنية للحكومة والتجسس على محافلها وعلاقاتها مع بعض الجماعات الجهادية. وفي الشريط ظهر مشهد مؤثر لطفل انهال على المجاهدين في العالم بالدعاء ما لبث أن أجهش بالبكاء، فما تعودناه في الأشرطة السابقة مشاهد لأطفال يكبرون ويتباهون في السلاح ومقاتلة الأمريكيين، قد يجري تلقينهم ما يقولون لكننا لم نشهد صورة طفل يدعو ويغلبه البكاء بصورة عفوية لا مراء فيها. وهذا يؤشر على العناية بجيل جديد يجري إعداده للمراحل القادمة لم يعهد الهزيمة ولا العقائد والأيديولوجيات الأخرى التي تحمّلها السلفية الجهادية مسؤولية ضياع الأمة وهوانها.

لكن لماذا تضطر الفرقان للكشف عن نظام اتصال متطور ومشفر مع أفغانستان؟ عدا عن نظام اتصال آخر مع الخارج عبر الحدود البرية بهدف تأمين الدعم اللوجستي وقطع الغيار دون أن يوضح الشريط ماهية هذه القطع أو نوع الدعم المشار إليه؟ ولماذا تستدل بكون النظام ظهرت بعض معطياته في مناسبات سابقة؟ وأن بعض المراقبين قد لاحظوا ذلك؟ وهذا صحيح. فقد كنا نلحظ في بعض الأحايين علاقة في الخطابات التي

يتزامن صدورها عن الفرقان مع تلك الصادرة عن السحاب وحتى عن خطابات صدرت عن حركة الشباب المجاهدين في الصومال وأخرى في الجزائر، وكلها تشير إلى وجود تواصل وتنسيق مشترك بين عدة قوى جهادية في ساحات مختلفة. ولما يكون هذا الأمر مألوفا فهل ثمة حاجة للتذكير به؟

الثابت أن خطابات البغدادي والمهاجر قدما عرضا يوطئ بشكل واضح لشريط: "**عامان لدولة العراق**". فجميعها تحدثت عن النصرة والثبات و "**وعد الله**" وليس عن "**الوعد الصادق**". وجميعها تحدثت عن إمكانية المصالحة إلا مع الحزب الإسلامي حيث كان التهديد هو اللغة الوحيدة التي حظي بها. فما الذي قاله البغدادي للحزب في خطابه: "**وقاتلوا المشركين كافة**"؟ وما علاقته بالإعلان عن نظام الاتصال المشفر؟

ذكّر البغدادي بداية بالخطاب الشهير لأبي حمزة المهاجر: " **قل موتوا بغيظكم**" عن الحزب الإسلامي حين قال: "**... لا نريد منكم شيء، فقط دعونا والعدو فإن انتصرنا عليه فهو عزّ الدنيا والآخرة لنا ولكم، وإن قضي علينا فهي شهادةٌ لنا وتكونوا قد استرحتم منا ولن تلقوا الله بدمائنا**". وفي خطابه يعلن البغدادي للمرة الأولى حربا صريحة على الحزب:

" **نعلنُ أن الحزبَ الإسلاميَّ بكل أطيافه قيادةً وأعضاءً هم حربٌ لله ورسوله ، وطائفةُ كفر وردة ، يجب أن يُقتلوا حيثما وجدوا ... وعليه نمهل جميع أعضاء هذا الحزب خمسة عشر يوماً للبراءة والتوبة مما هم عليه باستثناء خمسة هُم: أسامة التكريتي، وعلاء مكي، وعبد الكريم السامرائي، وإبراهيم النعمة، وطارق الهاشمي. فهؤلاء يقتلون متى قُدِر عليهم ولا مهلة لهم ... فإن انتهت المهلة فاقتلوهم حيث ثقفتموهم واقعدوا لهم كل مرصد ولا تأخذكم بهم رأفة في دين الله ... ولا نريد جدران مقراتهم فحسب إنما نريد رؤوسهم العفنة أينما كانت ...**". أما ما هي مبررات هذه الحرب؟ ولماذا تأخرت إلى هذا الوقت؟ فيسوق البغدادي عدة أسباب منها:

- لأن: " **تمرد الحزب الإسلامي وحربه على الدين وأهله لا يمكن دفعه إلا باستئصال شأفة هذا الحزب اللعين**"؛
- ولأن (**نا**): "**لم نقدم آلاف الشهداء وعشرات الآلاف من الأسرى لكي تضيع ثمرة الجهاد وتتحول بلاد الرافدين من علمانية بعثية إلى علمانية أمريكية تحت دعوى الوحدة الوطنية**"؛
- ولأن: " **الحزب سخّر كل طاقاته الإعلامية والعسكرية وجنباً إلى جنب مع عباد الصليب وأحفاد المجوس لحرب جنود الله المجاهدين ببلاد الرافدين ولم يستثن أحداً**"؛
- ولأن الحزب: "**انكشفت عورته لكل مسلم ولم تعد أفعاله خافية على أحد قط**"؛
- ولأن (**نا**): " **كنا قد التمسنا الأعذار لبعضهم سابقاً فاليوم اطمأنت قلوبنا أنه لا عذر لأحد ينتمي لهذا الحلف الشيطاني**"؛
- ولأن: " **قطف رؤوس أعوان المحتل واجب شرعي تماماً كرؤوس المحتل نفسه ... وإن تلفظوا بالشهادتين وصلوا وصاموا وزعموا أنهم مسلمون**".

وما بين الخطابين ظل موقف دولة العراق تجاه الحزب هو عدم الانجرار في حرب ضده خشية "**تشتيت الجهود**" كما يقول البغدادي، رغم أن الحزب لم يتوانى عن إعلان الحرب على القاعدة وتسخير ميليشياته وقواته وحلفائه في ضرب المشروع الجهادي بشكل مباشر أو عبر مشروع الصحوات. لكن هذا لم يمنع من قتال الحزب حيث تنشب المعارك ويكون شريكا فيها لقوات الحكومة أو القوات الأمريكية. لذا فالجديد، بحسب الخطاب، يوحي بوجود قرار صريح بتصفية الحزب نهائيا، أما مهلة الأسبوعين فليست ذات أهمية إلا من باب إقامة الحجة الشرعية التي لم تعد تقدم أو تؤخر فيما عزمت دولة العراق القيام به تجاه الحزب.

في شريط الذكرى السابعة لهجمات سبتمبر ظهرت مفاجأة غير متوقعة تمثلت بانكشاف جزئي لشخصية الشيخ عطية الله الليبي، وفي المقابلة التي أجريت معه سئل الشيخ عن مصير المشروع الجهادي في العراق فقال بأن الجهاد كرّ وفرّ، واصفا المشروع بـ: "**الجبل الشامخ الذي تدور حوله العواصف، وهذه تذهب ويبقى الجبل**"! بطبيعة الحال فقد كان الشيخ عطية الله يوصف بكونه ضابط الارتباط بين أفغانستان والعراق، ولا ريب أن رأيه أدق من بقية آراء قادة القاعدة باعتباره على اطلاع وثيق على الساحة الجهادية. وإذا ما ربطنا بين تصريحاته والإعلان عن نظام الاتصال والتنسيق فالأرجح أن دولة العراق تريد أن تقول أن قرارا صريحا بحجم إعلان الحرب على الحزب الإسلامي ما كان ليصدر لولا مباركة قادة القاعدة. لكن هل كان من مبرر لهذا الإعلان المدوي لضرب الحزب؟ أو هل كان ضرب الحزب يحتاج إلى إعلان من هذا النوع؟

الأكيد أن الحزب الإسلامي شكل أرقا لقادة القاعدة سواء في العراق أو في أفغانستان، ولعل القرار بتصفيته، بعيدا عن المبررات التي ساقها البغدادي على أهميتها، يستهدف تحقيق أمرين على الأقل بشكل مباشر هما:

- حث التيارات السلفية الجهادية عموما ودولة العراق الإسلامية خصوصا على وجوب حسم الموقف على الساحة العراقية كي يتسنى لها اللحاق في المشروع الجهادي العالمي كما هو الحال في أفغانستان والصومال حيث تبدو ملامح التمكين قاب قوسين أو أدنى. وهذا يعني أنه إذا كان الحزب الإسلامي هو آخر العقبات التي تواجه المشروع الجهادي فإن القوات الأمريكية هي الهدف التالي مباشرة، ومثل هذا الأمر ربما يفسر الكم الهائل من تصريحات التوجس والريبة التي أدلى بها الأمريكيون حيال الوضع في العراق ابتداء من كبار العسكريين وانتهاء بالرئيس الأمريكي نفسه. وقد وردت إشارة جلية في خطاب البغدادي حين قال: " **نعد المحتل وأعوانه بأيام سود ولا أزيد، فالخبرُ ما يرونه لا ما يسمعونه**".

- نصب فخ لجماعة الإخوان المسلمين وفروعها في شتى أنحاء العالم. فالجماعة لم تحدد موقفها الصريح من الحزب الإسلامي وتعاونه مع قوى الاحتلال وعدائه للقوى الجهادية كافة بما فيها هيئة علماء المسلمين. وكل ما صدر هي كتابات بررت للحزب نشاطاته بدعوى الاجتهاد! وبالتالي فلم تدن أي سلوك أمني أو سياسي له بشكل رسمي حتى لو صدرت إدانات ذات طابع فردي هنا أو هناك، وحتى لو تسبب الحزب بأضرار جسيمة لجماعات جهادية في العراق محسوبة على الإخوان المسلمين لكنها لم تدن سياساته.

وهكذا يكون الإعلان عن النية في تصفية الحزب الإسلامي بمثابة الفخ الذي قد يستفز الجماعة وفروعها والدائرين في فلكها ممن برروا للحزب أفعاله وامتنعوا عن إدانته. وإذا ما نفذت دولة العراق تهديداتها بضرب عناصر الحزب وقادته فسيكون أمام هؤلاء خيارين لا ثالث لهما: إما أن يتبرؤوا منه تماما أو يصمتوا تماما لعجزهم عن الدفاع عنه رسميا وعمليا وإما أن يدينوا التيارات السلفية فيكونوا والحزب سواء في موقفهم من الاحتلال وحلفائه مع ما يتبع ذلك من سقوط مدوي للجماعة.

نقاط على حروف المشهد الجهادي العالمي

المأزق والحل في بلاد الأفغان

(2)

2008/10/12

لو لم يكن ثمة انهيار في أسواق المال العالمية ابتداء من الولايات المتحدة الأمريكية وحتى أفقر دولة في العالم لاحتلت الباكستان وأفغانستان صدارة النشرات الإخبارية في وسائل الإعلام الدولية بلا منافس. ومع ذلك فقد ألقت الحروب الأمريكية في العراق وأفغانستان بظلالها على خلفيات الأزمة المالية الأمريكية والتي تسببت بخسائر معلنة بما يوازي حجم الإنفاق العسكري الأمريكي في البلدين والبالغ أزيد من 3.5 تريليون دولار. هكذا حضر العراق، كساحة حرب مدمرة للاقتصاد الأمريكي، مع أنه لا يشكل، في الوقت الراهن على الأقل، حجم الفزع الذي تثيره حالة الساحة الأفغانية. فهل الوضع في أفغانستان حرج إلى الدرجة التي تجعل من مسألة التفاوض مع طالبان، ولو على المستوى الإعلامي، مجاورة لأعتى الأزمات العالمية؟

أولا: انحسار الخيار العسكري الأمريكي

غداة هجمات الحادي عشر من سبتمبر توعد الرئيس الأمريكي جورج بوش تحديدا طالبان والقاعدة بالعقاب الشديد: "**سنخرجهم من جحورهم، سنطاردهم، سنعتقلهم أو نقتلهم، وسنقضي على القاعدة وطالبان** ... ". هذه بعض العبارات التي تفوه بها وهو يحشد قواته للهجوم على أفغانستان. وبعد مرور ثلاثة أعوام أو أقل على احتلال البلاد وتدميرها وقتل الآلاف من سكانها ومجاهديها، وبعد حصار تورا بورا سئل الرئيس عن مصير بن لادن فأجاب: "**لا أعرف - I don't know - لكننا في النهاية سنلقي القبض عليه أو ربما يكون قتل**". وبعد ثلاث سنوات أخرى قال: "**الوضع صعب وعصيب**". أما اليوم فـ: " **نحن مستعدون للتفاوض مع طالبان**"!

هكذا إذن، استنفذت الولايات المتحدة وحلف الناتو الخيار العسكري بالكامل، وباتت القوات المتحالفة على شفا الانهيار بين لحظة وأخرى. فالعسكريون حسموا أمرهم. والخلاف بين الناتو والأمريكيين وصل إلى نقطة اللاعودة. فعلى امتداد السنة الجارية، على الأقل، نشطت الولايات المتحدة دبلوماسيا وألحت على الدول

الأوروبية حتى جف لعابها لإقناعها بزيادة عدد القوات الأطلسية في أفغانستان ولكن دون جدوى، فقد أخفق حلف الناتو في الاتفاق على إرسال إمدادات عسكرية تصل إلى 15 ألف جندي إضافي لمواجهة تصاعد هجمات طالبان، فيما رفضت الدول الأخرى المزيد من التورط في الحرب الدائرة في أفغانستان.

ويمكن ملاحقة حقيقة الوضع العسكري في أفغانستان عبر تصريحات القادة الميدانيين والمسؤولين الأوروبيين. ففي 2008/6/2، وعشية استقالته، اعترف قائد قوات الناتو في أفغانستان **الجنرال دان ماكنيل في** مقابلة مع مجلة دير شبيجل الألمانية أن: "**منظمة الناتو لديها 47 ألف جندي الآن، في حين أننا نحتاج إلى وجود 400 ألف جندي أفغاني لمواجهة طالبان**". وفي مقابلة لاحقة له مع صحيفة الـ "**واشنطن بوست**" الأمريكية (**2008/6/15**) أقر بأن التصدي لهجمات حركة طالبان الأفغانية بات "**أمرًا عسيرًا**"، خاصة بعدما زادت هجمات مقاتلي الحركة بمعدل 50% .

وأكد التقرير الذي أعده المفكر الإستراتيجي الشهير أنطوني كوردسمان في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (2008/9/23) بعنوان: "**خسارة الحرب الأفغانية – الباكستانية؟ الخطر الصاعد**" أن: "**هزيمة الناتو وأمريكا في أفغانستان آتية بالتأكيد**"، كما حدث مع الاتحاد السوفيتي في ثمانينات القرن الماضي والإمبراطورية البريطانية في القرن 19، وهو ذات التوقع الذي أشار إليه ريتشارد تايلور في صحيفة الغارديان (2007/11/7) من أن: "**حلف شمال الأطلسي الذي تأسس لمواجهة الجيش السوفييتي بعظمته وأقماره الاصطناعية يواجه خطر الاندثار في صحارى أفغانستان وجبالها**". وأشار تقرير كوردسمان إلى أن الوضع الذي كان يتدهور في السنوات الخمس الماضية في أفغانستان وصل اليوم إلى: "**مرحلة الأزمة**". وكشف عن أن الطالبان المنطلقين مجددا: "**حولوا العديد من مناطق أفغانستان إلى مناطق محظورة على هذه القوات**". وحتى وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس ورئيس هيئة أركان الجيوش المشتركة الأدميرال مايكل مولن اعترفا بأن: "**الوضع أصبح أكثر فتكاً بالنسبة لقوات الناتو والقوات الأمريكية**".

هكذا باتت الطريق ممهدة أمام الاستخبارات الأمريكية بوكالاتها الستة عشر لتصدر تقريرها (10/9/ 2008) الذي سيكشف النقاب عنه بعد الانتخابات الأمريكية والمسمى بـ: "**التقييم الاستخباري الوطني**". وفيه اعتراف صريح بأن: "**أفغانستان تنزلق نحو الهاوية**". ومن المنتظر أن يثير "**التقييم**" الكثير من الاتهامات كونه حظي بجماع كافة وكالات الأمن الأمريكية.

ورغم كثافة التصريحات المتشائمة تظل تصريحات قائد القوات البريطانية الجنرال كارلتون سميث لصحيفة الصاندي تايمز (2008/10/5) قاصمة لاستراتيجيات الناتو وخاصة للسياسات الأمريكية في البلاد منذ احتلالها، ليس لأنها أقرت باستحالة النصر العسكري ودعت إلى التفاوض مع طالبان؛ بل لأنها وضعت حدا للحماقة الأمريكية التي تصر على الخيار العسكري رغم علمها باستحالة نجاحه أو تحقيقه أي تقدم في ظل الموازين القائمة سواء على المستوى العسكري حيث تعاني القوات من نقص شديد أو على المستوى السياسي

حيث ترفض دول الناتو والدول الأخرى إرسال المزيد من القوات بما يكفي لمواجهة طالبان أو على مستوى حكومة كرزاي الغارقة في الفساد والتمتع بنعم الاحتلال غير آبهة بما يجري من حولها والمصير الذي يمكن أن تؤول إليه هي والقوات الحامية لها. والأهم من كل هذا أن التصريحات جاءت لتفجر المسكوت عنه وتؤكد صحة ما ورد في المذكرة السرية التي سربها دبلوماسي فرنسي وجاء فيها أن السفير البريطاني في كابول شيرارد كولز أسر له بأن الخطة المتبعة في أفغانستان "**ستؤول إلى الإخفاق التام**". بل أن مراسل محطة BBC في كابول وصف تصريحات الجنرال البريطاني بأنها تتطابق مع مواقف القيادة العسكرية والأوساط الدبلوماسية البريطانية في أفغانستان رغم عدم التصريح عن ذلك علانية.

ثانيا: حقيقة المفاوضات وأهدافها

هكذا إذن! فقد تكشفت الأمور وباتت التصريحات والتقارير تلاحق بعضها، وقريبا ستلعن بعضها خاصة وأن طالبان نجحت في عزل كابول وبدا أنها تقترب من الوفاء بوعدها القاضي بتحديد العام 2010 موعدا لتحرير البلاد وطرد القوات الأجنبية منها، ولا شك أنها الآن في أوج مجدها لاسيما وأنها بالكاد تبتعد عن كابول بضعة كيلومترات يمكن قطعها بحدود الخمسة عشر دقيقة فقط، ومثل هذه المسافة كافية استراتيجيا لاعتبار العاصمة ساقطة عسكريا بعد أن تحولت إلى مجرد سجن للقوات الحكومية والأجنبية. ولم يعد ثمة سبب لتبرير التفاوض مع طالبان سوى الشعور بالهزيمة الساحقة. فما هي قصة المفاوضات المقترحة؟

من الطبيعي أن فشل الخيار العسكري سيؤدي إلى استعمال آخر ورقة ممكنة مع الخصم. وقد صدرت تصريحات وتسريبات كثيرة وبعضها على استحياء لفتح قنوات للتفاوض مع طالبان منذ أكثر من عامين. لكن لم يثبت صحة أي من التسريبات على وجود نية لدى طالبان في التفاوض. وفي الماضي كانت الولايات المتحدة تفرض حظرا على مشاركة الملا محمد عمر في أي مفاوضات قادمة، أما الآن فقد تغير الوضع، وبات الملا عمر موضع ترحيب وحماية. أما الدعوة الحالية التي أطلقها الرئيس الأفغاني حامد كرزاي فتأتي بعد يومين عما كشفت عنه صحيفة الأوبزرفر البريطانية (2008/9/28) من وجود مفاوضات بين وفد من طالبان والحكومة الأفغانية بوساطة سعودية للبحث في إنهاء الحرب الأفغانية. ثم توالت التصريحات المؤيدة لبدء حوار مع طالبان حتى وصلت إلى الأمم المتحدة ووزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس. لكن من هي القوى الأفغانية المعنية؟ وما هو الهدف من المفاوضات المقترحة؟

لسنا نعلم بالضبط الوقت الذي بدأت فيه المفاوضات في السعودية. لكن "**الأوبزرفر**" ومصادر أخرى تقول أنها تجري منذ صيف العام الجاري، ومن بين المفاوضين كشف النقاب عن أسماء كل من الملا عبد السلام ضعيف سفير طالبان في الباكستان إبان الغزو الأمريكي، ووكيل أحمد متوكل وزير خارجية طالبان السابق، وعن الجانب الحكومي والي كرزاي شقيق الرئيس الأفغاني، وكذا نواز شريف رئيس الحكومة الباكستانية الأسبق الذي جرى استدعائه كوسيط بفعل خبرته السابقة في طالبان والشأن الأفغاني. وربما ثمة أسماء أخرى لم يعلن عنها ممن تصفهم الدوائر الغربية بـ "**المعتدلين**"، فطالبان حركة سياسية كبيرة ولا شك أن فيها

توجهات ليس من المستبعد أن تميل إلى التفاوض فضلا عن مطالبتها به مع تحفظنا على الأسماء الواردة كونها لم ترد بشكل رسمي. لكن الأمر الحاسم أن كرزاي نفسه الذي طالب بوساطة سعودية للمصالحة مع طالبان أعلن أن المفاوضات لم تبدأ بعد. وهذا يعني أن القوى الغربية هي من يقف خلف الحديث عن وجود مفاوضات.

ومن جهته فقد دعا حاكم المحافظة الشمالية الغربية من باكستان إلى ضرورة البدء في التفاوض مع الملا محمد عمر، وفي مقابلة أجرتها معه صحيفة "**ديلي تليجراف**" البريطانية في منطقة بيشاور قال **عويس غني**: "**على الولايات المتحدة أن تدرك حتمية أن تتفاوض مع الملا عمر وقلب الدين حكمتيار والملا جلال الدين حقاني**". ومن الواضح أنه ثمة حاجة ملحة للتفاوض مع طالبان، لكن هذه الدعوة تؤكد فشل المفاوضات الجارية مع قوى ليست تمتلك القرار إن كانت موجودة أصلا. ربما تكون بعض القوى أو الأفراد قد اجتهدوا أو حاولوا جس النبض أو حتى تطفلوا لكنها قوى، على الأرجح، غير مخولة بالتفاوض. بل أن حركة طالبان أصدرت بيانا على عجل (2008/09/28) نفت فيه صحة الأنباء عن جود مفاوضات، وجاء فيه أن: " **أي مسؤول في الإمارة الإسلامية غير شامل في مفاوضات مع أمريكا وإدارتها العميلة. بعض مسؤولي الإمارة الإسلامية السابقين الذين يعدون بأصابع اليد الموجودون تحت إقامة جبرية في كابل، أو المستسلمين، هؤلاء الآن لا يمثلون الإمارة الإسلامية**" وأضاف بأن: " **هذا النوع من الأفواه محاولة فاشلة من قبل العدو لإيجاد القلق وعدم الثقة بين المجاهدين وشعب أفغانستان وشعوب العالم**"، واعتبر أن: "**المفاوضات التي فيها مصلحة الإسلام وأفغانستان؛ لا تكون خافية أبداً عن أعين الشعب**" مؤكدا على أن: "**مبارزتنا ستستمر إن شاء الله حتى إخراج القوات الأجنبية ومجيء نظام إسلامي مستقل**".

ومن جهته قطع الملا محمد عمر كل شك بيقين حين سد الطريق وأعلن صراحة أنه مستعد لتأمين انسحاب القوات الأجنبية من بلاده. أما لماذا تحدث عن الانسحاب وليس التفاوض فلأن هدف المفاوضات عند الغرب ليس الانسحاب بقدر ما هو مجرد فخ للإيقاع بالقوى الجهادية في محاولة لكسب الوقت بحثا عن استراتيجية جديدة من شأنها تخفيف حدة هجمات طالبان بداية والتمهيد للانتصار عليها. في كل الأحوال ثمة أمر ما يدور في الخفاء لم تتضح معالمه بعد.

على الصعيد الغربي، فإذا تتبعنا تصريحات القوى الأطلسية والأوروبية فمن الممكن تبين خفايا الدعوة إلى المفاوضات. ففي وقت سابق ناشد الصحفي البريطاني سايمون جنكينز في مقالة له في صحيفة صنداي تايمز الدول الغربية الكف عن قتل المنتمين لحركة طالبان لأنهم: "**يمثلون الأمل المرتجى في هزيمة تنظيم القاعدة**". وحتى رئيس الوزراء الفرنسي فرانسوا فيون عبر عن نفس الموقف: "**علينا أن ندرس طرقا تجعلنا نفرق بين الجهاديين الدوليين وبين من يتصرفون بوازع وطني أو بدوافع قبلية**". ولا شك أن فك الارتباط بين طالبان والقاعدة هو واحد من أسمى الأماني، وهي ذات الاستراتيجية التي اتبعتها الولايات المتحد في العراق عملا

بتوصيات مؤسسة راند التي رأت أن الجماعات الجهادية ليست متماثلة عقديا وبالتالي يمكن زرع الخلاف بينها واختراقها وهو ما حصل فعلا.

وثمة الكثير ممن يرى جدوى في تطبيق الاستراتيجيا ذاتها في أفغانستان إما عبر إنشاء صحوات جديدة أو عبر التفاوض. فمن جهته رأى قائد القوات الأمريكية السابق في العراق الجنرال ديفيد بتريوس (2008/10/1): "**إن المفاوضات مع بعض أعضاء طالبان قد تقدم وسيلة لخفض العنف في أجزاء من أفغانستان**"، ومن الواضح أنه غير متأكد من ذلك. أما البريطانيون فيعتقدون بأن: " **أي مباحثات لا يمكنها أن تجرى إلا مع عناصر طالبان الذين يعربون عن استعدادهم للتخلي عن العنف أو مع من قد تخلوا عنه بالفعل**". ومن جهتها عبرت الخارجية الفرنسية عن ذات المضمون مشيرة إلى أنها تؤيد: " **التفاوض مع الطرف القومي في طالبان فقط واستبعاد الطرف الجهادي**". أما وزير الدفاع الأمريكي، خلال اجتماع لوزراء دفاع حلف شمال الأطلسي، فكان أكثر وضوحا حول مستقبل المفاوضات مبديا استعداد بلاده للمصالحة مع طالبان بشرط: "**أن تجري وفق شروط الحكومة، وأن تخضع خلالها طالبان لسيادة الدولة**".

إذن الهدف من التفاوض هو "**خفض العنف**" بحسب الجنرال بتريوس أو "**إنهاء التمرد**" بحسب الجنرال البريطاني كارلتون سميث أو "**هزيمة القاعدة**" بحسب الفرنسيين أو "**الخضوع لسيادة الدولة**" بالنسبة لوزير الدفاع الأمريكي. لكنه بالنسبة لطالبان هو " **انسحاب ونظام إسلامي مستقل**"، فما هو بالنسبة للقاعدة؟

نقاط على حروف المشهد الجهادي العالمي

القاعدة في قلب الحدث

(والأخيرة3)

2008/10/13

لا ريب أن الرعب يجتاح الغرب بصورة غير مسبوقة بفعل التقدم العسكري الثابت الذي تحرزه طالبان على الأرض. والمعادلة بسيطة الفهم وليست معقدة. فالقوات الأمريكية تحتل المنطقة، والناتو موجود، وقوات حليفة أخرى من خارج الناتو وأوروبا ما زالت موجودة، وأجهزة الأمن والمخابرات الجرارة موجودة، والدول الإقليمية تقدم كل ما تمتلكه من إمكانيات لدعم القوى الأجنبية. باختصار؛ فما من قوة احتلال في التاريخ الإنساني حظيت بكل هذا الدعم والتأييد كالذي حظيت به الولايات المتحدة الأمريكية، فما الذي يحول بينها وبين تحقيق نصر حاسم بات أشبه بالحلم بعد تصريحات القادة العسكريين والسياسيين والأمنيين؟ وما الذي يمكن أن تفعله كل هذه القوى ولم تفعله بعد؟ وهل بقي من أهداف لم يتم قصفها وقد غدت أفراح الأفغان أهدافا عسكرية جهارا نهارا!؟ وإذا كانت القوى الغربية التي ترى في التفاوض الوسيلة الأنجع للخروج من

المأزق الأفغاني قد قدمت مبرراتها لهذه الخطوة؛ فما هي الصورة التي أغفلها الغرب على الجانب الآخر؟ بمعنى آخر: ما هي التداعيات التي يمكن أن تترتب على هزيمة الناتو في أفغانستان؟ أو ما هو مصدر الرعب الغربي؟

أولا: مخاوف الناتو والمهمات المستحيلة

لا شك أن المحاولات المحمومة لاختراق طالبان سياسيا مسألة بالغة الخطورة إذا ما وضعت في سياق الحرب على المشروع الجهادي العالمي الذي تتبناه السلفية الجهادية وتقوده القاعدة. لكن من المهم ملاحظة أن طالبان ذاتها ليست واقعة خارج التيار الجهادي العالمي حتى يمكن القول بإمكانية تحقيق اختراق في صفوفها أو وسط الساحة الجهادية حيث تشكل طالبان واحدة من أدواتها الضاربة إلى جانب القاعدة وطالبان الباكستانية والقوى الإسلامية الأخرى المحلية أو القادمة من شتى أنحاء العالم. لذا ثمة تصور لدى الغرب والأمريكيين تحديدا أن المشكلة في بلاد الأفغان تكمن في القاعدة صاحبة المشروع وليس في طالبان.

في مستوى الفكر السلفي الجهادي فالمشكلة تقع في صلب المرجعية المعتمدة كموجه لاستراتيجيات السلفية الجهادية في إقامة الحاكمية. ولما تكون المرجعية هي القرآن والسنة النبوية فهذا يعني أن خيارات التفاوض مع هكذا جماعات، لا تروم مغنما دنيويا، لا تتعدى الصفر بأي حال من الأحوال. ولما يقال لهم بأنكم وحدكم في الميدان، وأنكم تحاربون العالم، وأن العالم يتداعى عليكم يجيبون: "**لا يضرهم من خالفهم**". وإذا قارنا بين الضربات الأمنية التي تلقتها جماعات إسلامية في بلدانها بتلك التي تلقتها القاعدة في أفغانستان خلال الغزو الأمريكي لانقرضت عن وجه الأرض. وكي تستقيم المقارنة، واقعيا، فلا ضير من استحضار المجزرة التي تعرض لها المقاتلون الأجانب والقاعدة في قلعة جاجي الأفغانية، أو حجم التعذيب الذي واجهه ولما يزل معتقلو غوانتانامو، أو الحصار القاتل في صقيع جبال تورا بورا، ومع ذلك فلم يغيروا أو يبدلوا. وهذا يعني، فضلا عن صعوبة الخيار العسكري في التعامل مع الجهاديين، سقوط كافة محاولات الاختراق ذات الطابع السياسي الوطني أو تلك التي تستند إلى عقائد وأيديولوجيات دنيوية كوسائط في التفاهم مع السلفيين بهدف الالتقاء معهم في منتصف الطريق. وفي السياق فمن العبث التفكير في إحداث شقاقات تنظيمية داخل القاعدة مثلا من خلال الإيحاء بأن المصريين يسيطرون على التنظيم أو أن المصريين انقرضوا أو أن الليبيين تقاسموا كعكة التنظيم مع أقرانهم وهكذا. فمن يدعو لتطبيق الحاكمية لا يضره أن يتولاه عبد حبشي.

والحقيقة أن الغربيين لم يعولوا كثيرا على مثل هذه المحاولات الإعلامية التي استهدفت صرف العامة عن القاعدة بحجة أنها مصرية أو وهابية أو ليبية أو تنظيم وافد كما حصل في العراق. لكنهم يحاولون جاهدين تطويع طالبان بوصفها حنفية ماتريدية المذهب، بخلاف الحنبلية، معتقدين أن ليونة الحنفية يمكن أن تغري طالبان في الانحياز إلى الصف الوطني والتخلي عن لغة الجهاد العالمي. في هذا الإطار بالضبط تأتي محاولات التفاوض معها.

في مستوى استلهام التجربة العراقية، فكثيرا ما جرى الحديث عن إنشاء تحالفات قبلية مناهضة لطالبان والقاعدة، وبموجب ذلك عقدت الحكومة الباكستانية بعض الاتفاقات مع زعماء قبليين وشنت فعلا حملات تطهير لبعض المناطق في مناطق وزيرستان لكنها فشلت في تحقيق الغرض منها، وها هم يحاولون إحياءها ثانية. لكن مسألة بعث مشروع صحوات في أفغانستان أو الحزام البشتوني مماثلة لتلك التي أنشئت في العراق تبدو محاولة فاشلة بامتياز. فالأفغان تميزوا تاريخيا بأنهم شعب موحد وذو شكيمة. والأهم يكمن في اختلاف طوبوغرافيا الأرض في البلدين جذريا. فقد ظل موطن الجهاد الأفغاني عبر التاريخ واقعا في الجبال معطلا بذلك استغلال فاعلية السكان المحليين في اختراق الصفوف، وهذا المعطى هو الذي مكن القاعدة وطالبان من الاحتماء والعودة إلى الساحة من جديد. أما في العراق حيث الصحاري الشاسعة وعدم فاعلية المنطقة الشمالية فقد أرغم المشروع الجهادي على الاحتماء بالحواضر حيث الكثافة السكانية العالية مستفيدا من تمايز الوضع الطائفي في البلاد. فالسنة هم الذين احتضنوا الجماعات الجهادية لمواجهة القوات الأمريكية والمليشيات الشيعية معا، ولما اخترقت الحواضن ضعف المشروع الجهادي. هذا الأمر، وعلى هذه الصورة، غير متاح في أفغانستان حيث يمكن الاحتماء بالجبال طول الوقت كحاضنة وملاذات آمنة.

أما واقع الحال ومستقبله فهو أسوأ بالنسبة للناتو والولايات المتحدة. فإذا ما استمرت طالبان والقاعدة في اندفاعاتهما باتجاه العاصمة وسقطت كابول فهذا يعني كارثة مصيرية أكثر منها هزيمة ساحقة. ولا ضير من التذكير والإشارة إلى أن الجهاد الأفغاني الأول الذي استهدف طرد السوفيات كانت باكستان، آنذاك، داعمة له كقاعدة آمنة، أما اليوم فهي مستهدفة. وانتصار طالبان يعني بشكل مباشر سقوط الحزام القبلي البشتوني برمته بيد المجاهدين. وهذا قد يسمح بضمه إلى كيان سياسي جديد يمتد في مرحلته الأولى حتى بيشاور. ولا شك أن هذه النتيجة هي التي تبعث على الفزع لدى الأمريكيين ناهيك عن الدول السبع المحيطة بأفغانستان وأولها الباكستان.

وهنا بالضبط يمكن طرح السؤال المدهش الذي انتظر طويلا قبل أن تبلوره الأحداث: **إذا ما انتصرت طالبان؛ فهل سيقتصر الأمر على العودة إلى صيغة الإمارة قبل الاحتلال الأمريكي؟ أم أن الأمر سيتعداه إلى البحث عن صيغة كيان سياسي إسلامي أوسع نطاقا؟**

بالتأكيد نحن لا نتحدث عن نظام خلافة؛ فهذه مسألة أبعد قدرا من أن تكون موضع بحث في الوقت الحالي، لكننا نتحدث عن كيان سياسي قد لا تتسع له الإمارة إذا ما تجاوزت فعاليات المشروع الجهادي حدود أفغانستان. فالمسألة هنا قد تتعلق بكيان عليه أن يتسع لمشروع جهادي عابر للحدود والقارات، فبأية صفة تمثيلية يكون الكيان الجديد راعيا له؟

هكذا يمكننا أن نتفهم في الصميم سر الفزع الغربي وهو يتزاحم على المنابر والفضائيات بحثا عن حوار مع طالبان التي قد تتحول نتائج فعالياتها الجهادية، في لحظة ما، إلى كرة ثلج متدحرجة يصعب وقفها. ذلك أن

طالبان لم تبدأ مسيرتها كحركة جهادية، ولم تكن تجيد القتال لولا أنها تلقت الدعم من باكستان لوضع حد للصراع الدامي بين الجماعات والأحزاب الأفغانية بعد سقوط كابول وإعدام الرئيس نجيب الله. أما طالبان ما بعد 11 سبتمبر فقد تمرست في أعتى صنوف القتال وخبرت فنونه خاصة وهي في حضن القاعدة ذات التوجه العقدي الحاسم وصاحبة الذراع الطويلة في حرب العصابات والقوى العظمى، وبالتالي فهي واقعة حكما في قلب المشروع الجهادي العالمي.

ثانيا: وحدة المشروع الجهادي

هذا التوسع باتجاه باكستان شكل الحزام القبلي البشتوني فيه جسر عبور متين قادته سلسلة من جماعات تطبيق الشريعة التي ائتلفت فيما بينها بصيغة حركة طالبان الباكستانية بزعامة بيعة الله محسود الذي يحظى بدعم قبلي واسع النطاق في مناطق باجور ووزيرستان ووادي سوات شمالا. أما باكستان ذاتها فلم تكن بعيدة عن الرغبة في تطبيق الشريعة رغم وجود القوى الإسلامية الحليفة للحكومة والقرينة لتيارات الجهاد الإسلامي، لذا فإن كل ما حصل خلال السنوات الثلاثة الماضية هو محاولات حثيثة لتحقيق ربط محكم بين باكستان وأفغانستان.

وهكذا فلم يكن شريط السحاب المدهش "**إمام بحق**" عن جهاد الشيخ عبد الرشيد غازي ووالده شريطا عاديا أو مألوفا. فنحن مقتنعون بضرورة التوقف دائما عند أشرطة الجهاديين وتبيُّن حقيقة محتوياتها كونها المصدر الوحيد للاطلاع على الموقف ومتابعة الأحداث في الإطار الجهادي العالمي. فهو شريط ذو سيناريو بالغ البراعة. ولن يخطئ من رأى فيه رسالة نقد شديدة للعلماء دون الاكتراث بالمادة التاريخية فيه، ولن يخطئ من رأى فيه مادة تاريخية مذهلة بعيدا عن النماذج الفذة لبعض العلماء، ولن ينقص من قيمته شيء من رآه كمادة سياسية، أما من رآه مادة تحريضية على الجهاد غير مسبوقة المحتوى والعرض فهو محق تماما، ومن أطبق صمتا وهو يشاهد الشريط فلأنه تعجب من قوة التساؤلات والحجج العقلية والفقهية التي وردت على ألسنة العامة والخاصة من الناس حول الحاكمية والجهاد. وكيفما قلبنا الشريط فهو مميز على كل مستوى وفي كل محتوى. لكن هل قدمته السحاب، فقط، لنيل الثناء والإعجاب؟

لا شك أن الشريط أصدرته السحاب، لكننا لسنا على يقين بأنها هي من أنتجه كما هو حال الأشرطة السابقة خاصة وأنه بدا موجها بالدرجة الأساس للشعب الباكستاني قبل غيره ليقول كلمة حق فيما يجري ببلاده. فإنْ كانت السحاب هي من أنتجه فهذا يؤشر على اتساع قاعدة الجهاد العالمي حتى في عمق الباكستانيين، وإذا كان المنتج جهة باكستانية فمن المؤكد أن الحكومة في ورطة على مستوى باكستان وليس على مستوى الحزام البشتوني فحسب.

أما فكرة الشريط المركزية فتنطلق من النظام الرأسمالي، وبالنسبة إليه فإن: "**كل ما فعلته الرأسمالية أنها حبستنا في دائرة الهموم الفردية**"، وحالت بين الناس وعبادة ربهم وصيانة دينهم. ولعل المفارقة التي

يركز عليها مثيرة حقا. فالباكستان تأسست، منذ ستين عاما، كدولة إسلامية ليعيش فيها المسلمون بعيدا عن العقائد الوثنية للسيخ والهندوس. وهي بالتالي ليست دولة مثيلة لدول سايكس – بيكو التي تأسست على أطلال الخلافة والنظام الإسلامي، لذا فالسؤال يتكرر، في الشريط، بأكثر من صيغة: " **لماذا لم يقم الإسلام في الباكستان حتى اليوم؟ ولماذا يتعرض المسلمون للإهانة والقتل؟ ولماذا يجري محاربة الإسلام والمسلمين انطلاقا من باكستان؟ ولماذا يعمم فيها العري والفجور بينما المجاهدون يهانون؟ ولماذا تهدم فيها حصون الإسلام من مدارس ومساجد؟**". بطبيعة الحال يجيب الشريط على هذه الأسئلة متهما النخبة السياسية الحاكمة التي اتبعت نظاما علمانيا سطره البريطانيون صراحة ولا هدف له إلا محاربة الإسلام.

لا شك أن قسما واسعا من السكان، ناهيك عن سكان الحزام البشتوني وطالبان باكستان، ظل على قناعته التاريخية بأن دولة باكستان وجدت من أجل إقامة الإسلام لا من أجل الاستقلال الوطني أو إقامة العلمانية أو حماية المصالح الغربية وغيرها. أما نموذج هذا القسم من السكان فكانت أفضل تجلياته في طلبة وطالبات المسجد الأحمر الذين أظهروا تحديا غير مسبوق في مواجهة السلطة أسفر عن مذبحة جماعية بحق المئات منهم.

لا شك أيضا أن شريط السحاب "**إمام بحق**" لا يمكن فصله عن أشرطة الفرقان عن الدولة أو شريطها عن كتائب كردستان، ولا عن شريط حركة الشباب المجاهدين في الصومال. فكلها شرائط تزامن ظهورها وهي تعرض لعناصر القوة والإعداد. أما الجديد فيظهر في التدريب الذي يجري في المعسكرات. وهذا يؤشر بجلاء على الانتقال من مرحلة الخفاء إلى مرحلة العلن، بما يوحي أن "**حركة الشباب المجاهدين**" بالذات باتت تتمتع بملامح تمكين واضحة في بعض المناطق بصورة تسمح لها بإقامة معسكرات تدريب علنية وحتى بناء مطارات دولية كما حدث في ولاية جوبا جنوب البلاد. بل أن "**الإعداد**" عند الحركة اتخذ صيغة "**لا سلام بلا إسلام**" في شريطين متتاليين حملا تقريبا نفس الاسم دون أن تغفل الحركة عن التمثل بعبارة الزرقاوي الشهيرة بخصوص فلسطين. لذا فهم (**الشباب**) يكثفون من تدريباتهم ويحثون على النفير، ويهددون بسرايا الجهاد العالمي التي ستغزو العالم. هذه هي فكرة الجهاد الصومالي حيث لم يعد ثمة مجال للقاء في منتصف الطريق مع القوى السياسية ذات التوجهات السلمية في حل الأزمة الصومالية.

أما الملاحظة الثانية في الأشرطة ذات التدريبات العسكرية أنها تضمنت مشاهد تدريب مماثلة لبعضها سواء في الصومال أو في العراق. وهذا يعني وجود تنسيق في نقل الخبرات من العراق تحديدا إلى الصومال. وهو ما أقرت به حركة الشباب في شريط سابق: "**لا سلام بلا إسلام**" فيما يتصل بالتصنيع المحلي وتطوير بعض الأسلحة والاستعمال الواضح للعبوات المزروعة، علما أن خبرات القاعدة في العراق قد انتقلت بصورة تامة إلى أفغانستان حيث تجلت مظاهرها، فضلا عن اعترافات عسكريي الناتو، بالعمليات الاستشهادية التي لم تكن مألوفة في أفغانستان أو عبر العبوات الناسفة كالتي ظهرت في شريط السحاب عن الذكرى السابعة لهجمات سبتمبر.

ومع أن قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي أصدرت ثلاثة أشرطة متتالية خلال شهر رمضان إلا أن محتوياتها تركزت على الشعور بالمرارة والعتاب والخيبة و"**التخذيل**" تجاه ما تعتبره حملات تشويه محمومة ضدها من قبل الإعلام الحكومي أو من قبل بعض الجماعات الإسلامية. ومع أنها جهدت في تفنيد الاتهامات التي تصفها بقتل المدنيين محتجة على خصومها أن يأتوا بالدليل على اتهاماتهم. بل أنها احتجت على خصومها مشيرة إلى أنها لو كانت كما يظنون لكان أسهل عليها أن تهاجم المدنيين في الأسواق مباشرة على أن تتكبد عناء الخروج إلى الجبال وتجشم المشاق في مقاتلة النظام السياسي، وسؤالها "المرير": "**كيف نقتل المدنيين وما خرجنا إلا في سبيل الله؟**". وكحركة الشباب فقد كان لفلسطين حضورا في شريط التهنئة بالعيد حيث جعلت من قبة الصخرة للمسجد الأقصى خلفية للصورة مذكرة بأنها ستكون على موعد مع الأهل في أرض الإسراء والمعراج.

ختاما

لسنا نشك أن القاعدة بصدد تحضيرات حثيثة لمرحلة جهادية قادمة على المستوى العالمي ليست ملامحها معروفة بالضبط إلا أنها تتوجه بالنهاية لتصب في صلب القضية الفلسطينية. لكن مشروع التفاوض المقترح مع طالبان أثار حفيظتها كونه، في أسوأ الأحوال، يعيق ما تعتقد أنه تقدم في المشروع الجهادي. فقد ظهر حقيقة وكأن القاعدة على علم بمحاولات الاختراق السياسي مثلما أوحى بذلك شريط آدم يحيى غدن الملقب بعزام الأمريكي. ولعلها مفارقة عجيبة حقا أن الشريط المعنون بـ: "**لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**" لم يتوقف عنده أحد لا من الأنصار ولا حتى من الإعلام مع أنه جاء ردا سريعا على مبادرة التفاوض. فعلى امتداد الشريط تحدث عزام عن محاولات محمومة يقوم بها الجيش الباكستاني والمخابرات الباكستانية باتجاه اختراق الطالبان سياسيا مذكرا بالدور "**الخبيث**" الذي لعبته باكستان بعد هزيمة الاتحاد السوفييتي فضلا عن دورها في الحرب على الجهاد والمجاهدين بعد هجمات سبتمبر و "**جرائم الجيش الباكستاني ضد السكان**".

إلى هنا يمكن القول أن حيوية دبت في المشروع الجهادي العالمي لا يمكن تجاهلها، لكنها نسبية، فهي قوية في أفغانستان والصومال بحيث تبدو على الساحتين علامات تمكين لا تخفى على مراقب، لكنها أضعف في مناطق أخرى أو أنها تعاني من الغموض تارة والتشويه تارة أخرى أو كليهما معا كما هو الحال في الجزائر والعراق. أما في الشيشان فالمشروع الجهادي، على ثباته وقوته، يظل مغيبا عن الإعلام وكأنه في كوكب آخر. وإذا ما ربطنا تطورات مشاهد الجهاد العالمي بالأزمة المالية التي تعصف بالعالم وتراجع الدور الأمريكي فسنعيش مرحلة انتقالية حاسمة جوهرها فعاليات الجهاد العالمي من جهة وتفاعلات الأزمة المالية، فإذا ما توالت انهيارات الأسواق المالية في العالم فبالتأكيد ستصب في صالح القاعدة وليس العكس بالضرورة صحيح. وفي الشهور القليلة القادمة فقط يمكن أن تتضح ملامح الوضع الدولي الجديد ووزن التيار الجهادي فيه. فلننتظر ونراقب.

انتهى

مزيدا من النقاط على حروف الجهاد العالمي:

هل ستتفكك القاعدة؟

(4)

د. أكرم حجازي

2008/11/9

فيما عدا أغلب الفضائيات العربية الإخبارية، إن لم يكن جميعها، ودون مبرر منطقي، نقلت مثيلاتها الغربية ووسائل إعلام متنوعة ملخصا، عن **رسالة** البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية **(2008/11/7)**: "**إلى حكام البيت الأبيض الجدد وسائر أحلافهم من رؤساء الدول النصرانية**". وذات الأمر وقع فيما يتعلق بلقاء أبي حمزة المهاجر المسمى وزيرا للحرب مع مؤسسة الفرقان بتاريخ 2008/10/24 حيث لا خبر ولا تعليق علما أنه اللقاء الصوتي الأول من نوعه والذي من المنتظر أن يتم استكماله في حلقات أخرى. والطريف في النقل أن وسائل إعلام الغرب تتعامل على الدوام مع خطابات القاعدة وشرائطها كمصادر معرفية في فهم توجهات القوم ولغتهم فيما تصر الوسائل العربية على تجاهلها أو التنكر لها أو تسطيحها دون أن يكون لها القدرة على الدفاع عن أدائها الإعلامي أو الشعارات التي تتزين بها.

نقول هذا ونحن نلحظ منذ ما قبل شهر رمضان بقليل ما يشبه دخول دولة العراق الإسلامية في مرحلة انتقالية ما انفكت مؤسسة الفرقان تمهد لها بزخم إعلامي نوعي غير مسبوق. ومع ذلك فلم تتساءل وسائل الإعلام العربية عما يجري التحضير له على الساحة العراقية من قبل القاعدة الأم في أفغانستان؟ ولا ما إذا كان هذا الدفق الإعلامي يشي بتوجه ما نحو مركزة للمشروع الجهادي العالمي بحيث تكون "**الدولة**" فيه رأس الحربة مجددا؟ ولا ريب أن مثل هذا الأداء السقيم نقل هذه الوسائل إلى مصاف الخصوم وخلف لها اتهامات أقلها بأنها وسائل غير محايدة سواء لأنصار الجهاد أو حتى للمراقبين لأن التنكر للأحداث لا يمكن تبريره بالحياد ناهيك عن التوازن.

إرهاصات المرحلة

الأكيد أن سلسلة الخطابات السابقة لا يمكن فصلها عن خطابات قديمة سبق أن بثتها مؤسسة السحاب خاصة تلك التي توجه بها الظواهري وبن لادن وحتى يحيى آدم غدن (عزام الأمريكي) إلى الأمريكيين والأوروبيين مع التذكير، على وجه الخصوص، بمشروع الهدنة التي طرحها أسامة بن لادن على الغرب قبل نحو أربع سنوات. وأيا كانت محتويات الخطاب القاعدي للغرب إلا أنه لم يكن من اختصاصات البغدادي الذي اقتصرت خطاباته على الشأن العراقي حتى فيما يتعلق بالأمريكيين الذين كان يخاطبهم كقوات احتلال.

لكن خطابه الجديد شذ عن القاعدة وقدمه كخطاب دعوي وبـ: "**الحسنى**" للأمريكيين وحلفائهم، وهي صيغة اضطلع بمهمة القيام بها بن لادن أكثر من الظواهري وغيره. فلماذا جاء الخطاب هذه المرة من العراق وليس من أفغانستان؟

بعيدا عن مضمون خطاب البغدادي للغرب؛ فلو تعمقنا أكثر لكان لزاما علينا التوقف عند الفقرة اللافتة: " **إني اليوم وبالنيابة عن إخواني في العراق وأفغانستان والصومال والشيشان أعرض عليكم ما هو خير لكم ولنا**". فما هو الجديد الذي حملته الفقرة؟

- غني عن القول أن الفقرة تنطوي على تفويض صريح للبغدادي كي يتحدث باسم القوى الجهادية الأربعة بصورة غير مسبوقة. فالمألوف أن تنظيم القاعدة هو المرجعية العليا والحاضنة الشرعية للجهاد العالمي بالنسبة لكافة الجماعات ذات التوجه السلفي الجهادي.
- ومن المألوف أيضا أن أحدا من هذه الجماعات لم يسبق له أن تجرأ على التحدث باسم الآخرين، وهذا يعني أن البغدادي ما كان له أن يتحدث عنهم بالنيابة لولا أنه تلقى تفويضا بذلك من قادة القاعدة.
- الملاحظ أيضا أن إمارة القوقاز وحركة الشباب المجاهدين جماعات سلفية جهادية لكنها لم تبايع القاعدة بصفة رسمية! فلماذا يتحدث البغدادي باسمها إذن؟
- أخيرا، فيما عدا الصومال فالجماعات الثلاثة الأخرى إما أنها كائنة في إطار صيغة الإمارة كما هو حال القاعدة وإما أنها أسست لها إمارات كما في القوقاز والعراق. وجميعها خاضت حروب ضارية مع القوى الغربية العظمى.

لكن هل ثمة مؤشرات على تفويضات أخرى لدولة العراق الإسلامية؟ بمعنى آخر: هل التفويض الذي عبرت عنه فقرة البغدادي هو الملمح الوحيد الذي وقعنا عليه؟ أم أن هناك فعلا مؤشرات أخرى؟

الحقيقة أن أشرطة الفرقان أو السحاب قلما تكشف عن التوجهات أو الاستراتيجيات دفعة واحدة، وهذا ما يُصعِّب مهمة الباحث أو المراقب وربما يعيقه عن سرعة بناء تصورات حاسمة، إذ علاوة على أنها غالبا ما تأتي ضبابية أو غامضة بحيث يستدعي الكشف عنها جهدا كبيرا إلا أنها تأتي أيضا متفرقة وعلى فترات وفي أكثر من شريط، وهذا يعني أن الوقت هو المصدر الوحيد المسموح له بالكشف عن الخفايا وليس الأشرطة بمجرد صدورها. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن فكرة تشفير الأشرطة واشتمالها على رسائل خفية أو استراتيجيات معينة، وفق هذا السياق، باتت أقرب إلى التصديق من الإنكار أو التشكيك، وإلا فما الذي يدفع هذه المؤسسات إلى تجزئة التوجهات والخيارات الإستراتيجية، إن صحت تحليلاتنا، على عدة أشرطة مرئية أو صوتية وفي أوقات متباعدة؟

فمن جهته قدم أبو حمزة المهاجر ما يشبه السفر الثاني للحقيقة بعد سفر الأنصار حين رد على الكثير من الشبهات المثارة ضد الدولة، أو على بعض القضايا الخلافية ذات الصلة بالجماعات الأخرى. ولا يخفى على المراقب أن الردود جاءت لتؤكد ما سبق وأن تناوله الكثير من الكتاب المناصرين للقاعدة أو الدولة، ولولا خطاب البغدادي لقلنا أنه ما كان للمهاجر أن يتجشم عناء تفنيد الشبهات أو الرد على المخالفين خاصة وأنه لم يعد خافيا أن كتابات الأنصار وتعليقاتهم قد كفته مؤونة الرد. لكن حين التدقيق سنجد أن بذور التفويض قد وردت في مواضع سابقة جلية وواضحة خاصة في محاضرته عن "**الدولة النبوية**".

أما في اللقاء الصوتي فقد وردت الفقرة التالية: " **لقد بدأنا السير مسرعاً وبدت الصورة تظهر معالمها في أبهى وأجمل ما يكون، فنحن اليوم جيش واحد تحت راية واحدة نقاتل عدونا على جبهات مختلفة في شمال الأرض بالقوقاز وأفغانستان، وبجنوب الأرض في الصومال والأوغادين، وفي وسط الأرض في العراق والجزائر، قلوبنا مجتمعة، وهدفنا واحد، نستظل بعقيدة واحدة**"؛ ثم فقرة أخرى خاطب فيها الشباب المجاهدين: " **أقول لشباب الصومال: القرن الأفريقي أمانةٌ في أيديكم، واحذروا طعنات الوطنيين فإنهم حتماً فاعلون، فإن قاتلوا معكم اليوم فإنهم غداً في صف عدوكم، وتكفيكم وتكفينا في العراق آلام التجربة**".

ولو تجاوزنا قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي المبايعة للقاعدة أصلا؛ فقد أتى المهاجر على ذكر المناطق الأربعة ذاتها التي تحدث باسمها البغدادي، وذهب أبعد من ذلك وهو يتحدث عن: "**جيش واحد**" و "**راية واحدة**" و "**عدو واحد**" و "**هدف واحد**" و "**عقيدة واحدة**". وهي صيغ لم تكن مألوفة في خطاب دولة العراق الإسلامية. ثم أليس ملفتا للانتباه أن يتحدث المهاجر مع الشباب المجاهدين وكأنه وصيا عليهم؟

هل من دور جديد في الأفق؟

سبق لنا أن تحدثنا عن أن هزيمة الناتو في أفغانستان ستعني بالضرورة البحث عن كيان سياسي جديد وليس العودة إلى صيغة الإمارة. فهل ستكون الصيغة هي دولة العراق الإسلامية؟ ربما. فمن جهة يمكن أن يكون لقاء المهاجر والترويج الإعلامي للدولة عبر المحاضرات أو الأشرطة المرئية كـ: "**عامان لدولة العراق**" هي مقدمات لتصفية الشبهات تحضيرا لدور جديد يصعب على الدولة القيام به ما لم يتم حسم الاتهامات التي رافقتها على امتداد عامين من أعلى سلطة رسمية فيها وإغلاق ما يمكن اعتباره ملفات عالقة. ومن جهة أخرى فليس من المعقول أن يتحول البغدادي إلى ناطق رسمي باسم القاعدة أو تيارات الجهاد العالمي وهو المسمى أميرا لدولة العراق الإسلامية والتي أثخنت، قبل إعلانها، في الأمريكيين وتحدت وجودهم وأعلنت قيام دولة إسلامية في قلب المعركة تحت سمع وبصر الاحتلال الأمريكي الذي سخّر كل طاقاته الفكرية والعسكرية لضربها بلا هوادة دون أن يفلح حتى الآن.

وهذا يؤشر على أن التفويض الممنوح للبغدادي هو بالتأكيد أكثر من مجرد أمير لإحدى الإمارات الإسلامية المعلنة في بعض الجبهات. فقد يعني في قراءة من القراءات تعبيرا عن الحاجة إلى إمارة مركزية

قائدة تبدو فيها دولة العراق الإسلامية مرشحة أكثر من غيرها للعب هذا الدور. ذلك أن أميرها يستحوذ علـــى مشروعية دينية وتاريخية وجغرافية ولغوية، فهو عربي قرشي وليس أعجمي كما هو الحـــال فـــي المنـــاطق الثلاثة الأخرى، وقيادة الجهاد العالمي تستدعي شخصية تخاطب الأمة بلغة القرآن، إذ لـــيس مـــن المنطقـــي، مثلا، أن يتحدث الملا محمد عمر أو دوكو عموروف إلى الأمة عن الإسلام والجهاد بلغة أعجمية.

كل هذا يدفعنا إلى القول أنه ثمة صيغة انتقال واضحة في لعب الأدوار تحتل الساحة العراقيـــة فيهـــا رأس الحربة، لكن تفويض البغدادي بشكل يظهره وكأنه وصي على تيارات الجهاد العـــالمي ســـيعني بالـــضرورة حراكا نوعيا غير مسبوق لن تتضح معالمه قبل مضي وقت ليس بالقليل. ولا شك أن أول ما يطرح فـــي هـــذا السياق هو مصير القاعدة الأم كتنظيم يمتلك مشروعية الإشراف على كل الجبهات الساخنة في العـــالم. وإلـــى هنا لنتثبت بعض الملاحظات للتأمل:

1) لا يخفى على مراقب أن القاعدة، منذ زمن، باتت ورقة أمنية محترقة، لذا فإن ظهور صيغة جديدة قد يكون أجدى من استمرار الصيغ القديمة خاصة وأن الدولة أو الإمارة أوسع من التنظـــيم، فـــضلا عـــن أنهـــا ستمكن القوى الجهادية الأخرى من الشعور بأنها شريكة في إنجاز لم تكن القاعدة هي الوحيدة التي صنعته.

2) كما أن تفويض البغدادي يعكس تقييما داخليا يفيد بأن المشروع الجهادي بـــات راشـــدا بمـــا يـــسمح بوجوب فك ارتباطه بالرموز كما يظهر. وهذه خطوة من شأنها أن تجرد الخصوم مما يعتقدونه مثلبا ينال مـــن مصداقية القاعدة التي تحاول فرض آرائها على الآخرين أو احتكار الجهاد، كما توحي الخطوة بـــأن القاعـــدة تتحسب لوقوع مكروه لبعض رموزها خاصة مع تصاعد الهجمات الأمريكية ضدها، وبالتالي لا بد من تـــأمين المشروع الجهادي والاطمئنان عليه.

3) ثم إن تفكيك تنظيم القاعدة العالمي وفق هذه المؤشرات سيكون ممكنا بما أن الساحة الأفغانية ســـتؤول بالنهاية إلى حكم الطالبان، وسيكون الأمر أكثر معقولية إذا ما كان الهدف هو البحـــث عـــن صـــيغة تتجـــاوز الإمارة، فإذا كانت القاعدة في العراق قد ذابت في إطار الدولة فلماذا لا تذوب في إطار الصيغة الجديـــدة فـــي بلاد الأفغان؟ وهذا يعني أن الصيغة المزدوجة (طالبان القاعدة) التي كانت سائدة في عهد الإمارة قبل احتلالها قد تكون أصبحت في خبر كان.

4) يلاحظ أن أغلب التقارير الأمنية والعسكرية تكاد تجمع على فداحة المخاطر التي تتعرض لها قـــوات الناتو والاحتمالات الكبيرة لهزيمتها في أفغانستان، والنتيجة العسكرية القاطعة حتى الآن تؤكد استحالة هزيمـــة طالبان أو حسم الموقف معها عسكريا. وتبعا لذلك ربما يكون قادة القاعدة قد توصلوا إلى نتيجة ترى أنهم أدوا مهمتهم خلال السنوات السبع الماضية، وأنه آن الأوان لاستئناف العمل الخارجي، ولأن مثل هذا الأمر يحتـــاج إلى تفرغ ومتابعة حثيثة فلا بد من إحالة مسؤولية الساحات الأخرى إلى إمارة قائدة تمثل مرجعيـــة للتيـــارات الجهادية الأخرى.

على كل حال تبقى مسألة تفكيك القاعدة عصية على الفهم لكن ذوبانها في إطار الصيغة الجديدة، إن صحت، ليس مستبعدا بشرط ألا يفهم من ذلك أنه نهاية المطاف بقدر ما سيعني ترقب دور جديد ليس معروفا حتى هذه اللحظة لا شكله ولا محتواه ولا مستقبله ولا طريقة عمله، أما محاولة فهم الحراك الداخلي في تنظيم القاعدة فهو أشبه بعمل المشعوذين. وإلى ذلك الحين، من التطورات القادمة، سنرى ما إذا كان الإعلام العربي سيستفيق أم أنه سيبقى غارقا في سباته.